

١٩٨٤

مكتبة نوبل

ياروسلاف سيفرت

أن تكون شاعراً



ترجمة: اسكندر حبش



أن تكون شاعراً



## مكتبة نوبل

**Author: Jaroslav Seifert**  
**Title: Byti basnikem**  
**Translator: Iskandar Habache**  
**Al- Mada P.C.**  
**First Edition : 2007**  
**Copyright © Al Mada**

اسم المؤلف : ياروسلاف سيفرت  
عنوان الكتاب : أن تكون شاعراً  
المتـرجـم : إسكندر حبش  
الناشر : المدى  
الطبعة الاولى : ٢٠٠٧  
الحقوق محفوظة

### دار للثقافة والنشر

سورية - دمشق ص. ب. : ٨٢٧٢ او ٧٢٦٦ - تلفون: ٢٢٢٢٢٧٥ - ٢٢٢٢٢٧٦ - فاكس: ٢٢٢٢٢٨٩

**Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria**

P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289

[www.almadahouse.com](http://www.almadahouse.com) E-mail: [al-madahouse@net.sy](mailto:al-madahouse@net.sy)

لبنان - بيروت - الحمراء - شارع ليون - بناية منصور - الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٧ - ٧٥٢٦١٦

E-mail: [al-madahouse@idm.net.lb](mailto:al-madahouse@idm.net.lb)

العراق - بغداد - أبو نواس - مجلة ١٠٢ - زقاق ١٢ - بناء ١٤١

مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

تلفون: ٧١٧٠٣٩٥ - ٧١٧٠٥١٣ فاكس: ٧١٧٥٩٤٣

[almadapaper.com](http://almadapaper.com)

[almada112@yahoo.com](mailto:almada112@yahoo.com) [almada119@hotmail.com](mailto:almada119@hotmail.com)

**All rights reserved. No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means ; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing, of the publisher.**

١٩٨٤  
مكتبة نوبل

ياروسلاف سيفرت  
أن تكون شاعراً

ترجمة وتقديم  
إسكندر حبش





وهبني القدر  
هذا الشقاء الناعم  
أن أكون  
شاعرا...

فاتسلاف شولك

**"وداعاً أيتها الحياة التي نحبك"**





«أن تكون شاعراً» هو الديوان الأخير ، من الدواوين الخمسة والعشرين ، التي نشرها الشاعر التشيكي ياروسلاف سيفرت ، الذي توفي في براغ في ١٠ كانون الثاني من العام ١٩٨٦ عن عمر يناهز ٨٤ عاماً . كان كتابه هذا ، قد صدر العام ١٩٨٣ ، في عدد من النسخ لم تصل إلا لقلّة من المعجبين بالشاعر . قبل ذلك بسنة ، كانت مذكراته «كلّ جمال العالم» قد صدرت في طبعة لم تنجُ مطلقاً من قسوة مقص الرقيب . من هنا ، ثمة سؤال يطرح نفسه : لمَ كلّ هذا الحذر تجاه عميد الشعر التشيكي الذي على قول رومان جاكوبسون ، صديقه والمعجب به منذ العشرينيات كان قد «وصل إلى امتلاك مدهش للتقليد الشفهي والكتابي ، للشعر التشيكي ، كما وصل إلى أقصى إغراءات الطليعية ، بالمعنى الأسمى للكلمة»؟

لو عدنا إلى التاريخ ، لوجدنا ان الديوان هذا ، نشر بعد ١٥ سنة من غزو جحافل حلف وارشو «لتشيكوسلوفاكيا» ، الذي وضع حداً لآمال ربيع «براغ» ، كما جاء قبل ست سنوات من سقوط جدار برلين . لم تكن شخصية الشاعر الوطني الكبير ، محببة لـ «الأبارتشيك» المسيطرين على مقاليد الحكم طوال عشرين سنة من «التسوية

والإخضاع» ، إذ كانوا يطالبون المواطنين بتصديق الأكدوبة ، المتمثلة بالفكر الموحد ، كما طالبوا الكُتّاب بأن يكونوا المثال على ذلك . من هنا ، «حالفه الحظ» ، حين حصل على جائزة نوبل العام ١٩٨٤ ، فسُمح له ، هذه المرة ، بإعادة طبع ديوانه في . . ثلاثين ألف نسخة .

### شجاعة وحرية

ثمة صفتان لازمتا الشاعر طوال حياته : الشجاعة وحرية الروح . هو ابن كاثوليكية متحمسة ومناضل اشتراكي . عرف سيفرت ، خلال سنوات حياته الأولى تحت الإمبراطورية النمساوية/ المجرية الفقر ، الذي ضرب عائلته ، كما كل سكان الأحياء العمالية في براغ ، وخاصة حيّ «جيجكوف» حيث ولد في ٢٣ أيلول من العام ١٩٠١ وحيّ «جيجكوف» مكانة بارزة في التشكل الاجتماعي ، إذ انه حيّ الطبقة العاملة وحانات البيرة الرخيصة والمراقص الشعبية ، كما انه عالم البؤس والاستغلال والخطيئة ، مع العلم بأن الصفات النبيلة كالأصالة والوفاء والعمق والصدق . . . ليست بصفات غريبة عن سكانه .

وعلى الرغم من إرادة والديه ، الذي كان يحبهما بإخلاص ، غادر الثانوية قبل حصوله على البكالوريا ، ليخصص وقته للشعر والثورة الاشتراكية التي هزت العالم بعد انحدارها من الحرب العالمية الأولى . في الثامنة عشرة من عمره ، وبعد ان شارك فترة قصيرة في الحركة

الفوضوية ، نشر أولى قصائده في صحيفة «حق الشعب» الاشتراكية الديمقراطية . بعد ذلك بسنة ، انحاز إلى تشكيل المجموعة الطليعية «ديفيتسيل» التي أعطت لنفسها هدف «النضال من اجل حياة جديدة» ، وكان من بين أعضائها ، فنانون وشعراء وكتاب ورسامون ، مثل «فلاديسلاف فانكورا» ، «كارل شولتس» ، «فيتسلاف نيتزفال» ، «جيري ولكر» ، «قسطنطين بيبيل» ، «فرانتسيك هالاس» ، «توايان» ، «ادولف هوفمايستر» ، وآخرون عديدون مثلوا جميعا ذلك الجيل الكبير الذي أسس لحداثة كبيرة في الأدب التشيكي الحديث . «كارل تيج» صديق سيفرت كان منظر تلك الحركة وروحها ، وكان ناقدا أدبيا وفيا . انتسب سيفرت إلى الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي الذي انفصل عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي العام ١٩٢١ .

### مدينة الدموع

في تلك السنة بالذات ، نشر سيفرت أول دواوينه «مدينة الدموع» . يومها ، كان يعتبر نفسه شاعرا بروليتاريا ، وهي لافته جُمع تحتها ، العديد من كبار الشعراء في عشرينيات القرن العشرين ، أمثال «جوزف هورا» ، و«س . ك . نيومان» و«جيري ولكر» . . . وبدءا من العام ١٩٢٢ ، أدار سيفرت مع «تيج» ، نشرة المجموعة التي على علاقة مباشرة مع الطليعة الفرنسية والروسية . وفي العام ١٩٢٤ قام برفقة «تيج»

وأخريين من «الديفيسيسيل» برحلة إلى باريس، وفي ١٩٢٥ إلى موسكو. بيد ان الموقف الجمالي، لهذه المجموعة، ابتعد في تلك الفترة عن «الشعر البروليتاري». إذ وجدوا تعبيرا عن موقفهم الجديد في مصطلح «الشعرنة»، الذي صار عنوانا لحركة فنية لا ترغب في «إبداع عالم جديد، ولكن تنظيم العالم الموجود بشكل يتحول فيه الى قصيدة حية». ساهم سيفرت بحماسة، في تهيئة بياني «الشعرنة» (١٩٢٤ و١٩٢٨)، وأصبح مع «فيتسلاف نيتزفال»، أحد أقطاب هذا «الشعر الجديد الذي نذر نفسه للثورة الثقافية». إلا أن سيفرت بخلاف «نيتزفال» و«تيج» و«بيبل» و«ماكوفسكي» و«توايان» الخ... لم يلتحق بالجماعة السورالية التي تشكلت في براغ العام ١٩٣٤ والتي عملت بحماسة مع السوراليين الفرنسيين. في اللحظة التي أصبحت فيها السورالية الفرنسية بفضل بيانها الثاني العام ١٩٢٩ مقبولة من قبل الفنانين الشيوعيين التشيك. كان سيفرت، من بين سبعة شعراء وكُتّاب، قرروا ترك الحزب الشيوعي احتجاجا على انحرافه والتحامه بالستالينية، بقيادة «كليمنت غوتوالد»، الذي خطط في ما بعد، لضربة براغ العام ١٩٤٨. ونظرا لموقفه النقدي لإدارة الحزب الجديدة، طرد سيفرت من المجموعة (ديفيسيسيل) التي سيطر عليها «تيج» و«نيتزفال». وبخلاف كثيرين، لم يحاول سيفرت مجددا، استعادة الصلة بالحزب. في تلك الفترة، فترة مرحلة «الشعرنة» أصدر الشاعر ٤

مجموعات ، هي : «لا شيء غير الحب» (١٩٢٣) و«على موجات ت. س. ف.» (١٩٢٥) و«العندليب يغني بشكل سيئ» (١٩٢٦) و«حمامة البريد» (الحمام الزاجل) (١٩٢٩) وتبعها كتاب مذكرات عن مرحلة الطفولة والشباب «النجوم فوق حديقة الجنة» . لم يكن عمر الشاعر آنذاك سوى ٢٨ عاما .

### القوافي العليمة

في الثلاثينات ، نشر سيفرت خمسة دواوين هي «التفاحة التي سقطت من الحزن» (١٩٣٣) و«يدا فينوس» (١٩٣٦) و«أنشد على آلة الروتاتيف» (١٩٣٦) و«وداعا أيها الربيع» (١٩٣٧) و«أطفئوا الأنوار» (١٩٣٨) وقد عمل كثيرا ، في دواوينه هذه ، على «الشكل الصافي والبسيط للأغنية» ، كما على «القوافي العليمة» أو «الاكزوتيكية» التي لم تكن مستعملة كثيرا في الشعر التشيكوي . في تلك الفترة ، كانت موضوعات قصائده ، تتمحور حول «ثيمات» أساسية ، والكلمة المفتاح هي الحب : حب المرأة ، الوالدين ، براغ ووطنه الذي كان في «خطر الموت» حين صدرت المجموعة الأخيرة .

أثناء الاحتلال الألماني ، وضع الشاعر ريشته في خدمة الوعي الوطني . استدعى في قصائده ، شجاعة الأجيال السابقة التي قاومت الهيمنة السياسية والقومية واللغوية ، حرّض الشعب على أن يكون

فخورا بتاريخه ، أعطاه الأمل . خصص ديوانه اللاحقين «مرتدية الضوء» (١٩٤٠) و«جسر الحجر» (١٩٤٤) لمدينة براغ ، عاصمة مملكة «بوهيميا» القديمة ، التي كانت في رأيه ، ترمز ، بماضيها المجيد ، إلى خلود الأمة التشيكية .

بعد الحرب ، ازدادت شعبية الشاعر ، وبخاصة بعد ١٩٤٩ ، لدرجة انه استطاع ان يخصص وقته للكتابة فقط . استمر في نحت أسلوبه الكلاسيكي المتأني ، ووضع مكان المواضيع «الوطنية» موضوعاته المفضلة : المرأة ، الحب ، الزمن الذي يمضي ، موضوعات غناها الشاعر بتلك «الخفة الماهرة» .

في العام ١٩٥٠ ، وكما «تيج» و«هورا» و«هالاس» ، لم ينج سيفرت من الهجوم النقدي العنيف الذي شنته عليه الماركسية ، إذ أخذت عليه ماضيه الطليعي ، كما أخذت عليه عدم التزام شعره ، لمتطلبات الواقعية الاشتراكية ، المذهب الوحيد المقبول يومها من قبل الايديولوجيا الحاكمة . لم ينجر الكاتب إلى ذلك . في مؤتمر اتحاد الكتاب «التشيكوسلوفاك» العام ١٩٥٦ ، كان سيفرت أول الذين نددوا بجرائم «الستالينية» وأول المطالبين بإعادة العدل وإخراج الكتاب والشعراء المسجونين . في هذه السنة المرعبة ، صدرت مجموعته «الصبي والنجوم» وأهداها إلى رسام عزيز على قلبه : جوزف لادا . ثم سكت الشاعر لمدة ٩ سنوات .

## الاختلاف

حين صدرت مجموعته «حفل على جزيرة» العام ١٩٦٥ ، بدأ شعره مختلفا بشكل جذري . تخلى عن العروض الكلاسيكي ، وعاد إلى البيت الحر كما في ديوانه الأول ، بدأ أسلوبه ناضجا عبر ٤٠ سنة من الكتابة . بعد سنتين ، صدر «مذنب هالي» و«سبك الأجراس» .

بعد الاجتياح السوفياتي العام ١٩٦٨ ، قبل سيفرت ، بشجاعة ، انتخابه «رمزيا» على رأس اتحاد الكتاب ، الذي ضم أنصار ربيع براغ . بقي في منصبه هذا ، بالرغم من تهديدات السلطة ، حتى عام ١٩٧٠ في العام ١٩٧٩ ، نشر «مظلة البيكاديللي» وفي ١٩٨١ «عمود الطاعون» ، وديوانه الأخير هذا ، يحيلنا إلى الحقبة «الباروكية» التي تمثل للأمة التشيكية التي أذلت بفقدانها سيادتها الوطنية «زمن الظلمات» .

وقع سيفرت ميثاق ٧٧ مع «هافل» و«هرابال» وآخرين ، ملتحقا بذلك بأولئك الذين طالبوا باحترام الحقوق المدنية المنصوص عليه في دستور البلاد ، أي الذين تعرضوا لملاحقة الشرطة المستمرة وحتى السجن . من هنا نفهم لماذا بقي آخر كتب سيفرت «ان تكون شاعرا» ، كتابا غير مرئي ، في بلاده .

بيد أن شهرة الشاعر ، تخطت الحدود التشيكوسلوفاكية المغلقة في تلك الفترة ، لتصل إلى الغرب . في العام ١٩٨٢ ، صدر له في السويد

ديوان شعري ، ما سمح للأكاديمية الملكية ان تميز قيمته الشعرية فمنح جائزة نوبل للآداب العام ١٩٨٤ ورأى بعضهم ان الجائزة هذه ، تكريم لجليل طويل من أولئك الكبار في الشعر التشيكي الحديث ، وكان سيفرت الوحيد الذي لا يزال على قيد الحياة بينهم . بينما رأى آخرون ، وكما العادة ، الدور والبعد السياسيين للجائزة ، وبخاصة ان الشاعر كان حاضرا في جميع الأزمات التي مرت على بلاده منذ الستينات . على كل ، في بيان الجائزة نقرأ عبارات اللجنة الملكية التالية : «كبر شاعر وجداني خلال ألف سنة في الأدب التشيكي» ، كما انه «معلم كبير من معلمي الشعر العالمي» ، كذلك هو «إنسان ، وطوال حياته ، بقي مناضلا شجاعا ، لا يكل ، دفاعا عن حرية الإنسان من اجل حرية شعبه» .

### ان تكون شاعرا

في شعره كله ، كان سيفرت ، شاعر الحب : حب الإنسانية ، المرأة ، الأهل ، الأصدقاء ، الشعب ، الطبيعة ، حب العدالة والحقيقة ، وهما رمزان تعذب من أجلهما الشعب التشيكي لفترة طويلة ، من دون ان يتردد في إراقة دمه ، من اجل ذلك .

مع «آن تكون شاعرا» ، يعود الشاعر إلى مراهقته ، إلى حبه الأول ، يتذكر سنوات الحرب السوداء ، ليطلق نداءً حارا للسلام . وكما دواوينه



الأخرى (أو القسم الأكبر منها) ، نجد ان مدينته براغ حاضرة بقوة في هذا الكتاب ، والشاعر يستدعي ويتذكر كل أولئك الذين اغرموا بها قبله ، «موتسارت» و«ماشا» ، فضلا عن الكتاب والشعراء المعاصرين الذين رحلوا عن الوجود . عبر قصائده هذه ، الأخيرة ، المليئة بالأحاسيس ، يصل سيفرت إلى قمة فنه (على قول الناقدة «يانا بوشبرغر») كما يقدم فيها ، وداعه للحياة التي طالما أحبها .

قد يكون ياروسلافا سيفرت ، من أولئك الشعراء الذين ينبغي عليهم ان نقرأهم بلغتهم الأصلية ، إذ ما من ترجمة إلى لغة أخرى ، تستطيع ان تقدم هذه الصورة الحقيقية التي كان عليها الشاعر في وطنه . ثمة شعر ، يبقى منه شيء ، حين ينقل ، وثمة شعر آخر ، يضع كليا . . سيفرت من شعراء الفئة الثانية ، ربما ، لأن اللغة حاضرة بقوة في عالمه الشعري .



## أن تكون شاعرا

علمتني الحياة ، منذ زمن طويل  
أن أجمل الأشياء  
التي يمكنها منحنا إياها :  
الموسيقى والشعر  
إن استثنينا الحب بالطبع .

في كتاب مختارات قديم  
نشره مستودع كتب صاحب الجلالة الملكية والإمبراطورية  
سنة وفاة فرشيكلي ،  
وجدت بحثا عن الفن الشعري  
والمحسنات الأسلوبية .

إذ ذاك ، وضعت زرّ ورد في كأس  
أشعلت شمعة  
وبدأت كتابة قصائدي الأولى .

لتنبثقي إذا يا شعلة الكلام ،  
ولتضطرمي  
ما همّ إن أحرقت أصابعي!

استعارة مدهشة تساوي أكثر  
من خاتم ذهبي في اليد .  
ومع ذلك ، فإن موجز عروض بوشماجر  
لم يقدم لي أي مساعدة .

سدى ، للممت الأفكار  
وأطبقت جفنيّ بتشنج  
لأسمع أول بيت عجائبي .  
بدلا من الكلمات ، شاهدت  
في الظلام ضحكة امرأة وشعرا  
طافيا في الهواء .

ذاك هو قدري .  
ركضت خلفها - حتى انقطعت أنفاسي -  
حياتي كلها .

## قصيدة وجدت فوق سجادة مطرزة

براغ!

في قلب الذي لم يرها إلا مرة واحدة

على الأقل ، يصدق اسمها

إلى الأبد. هي نفسها أغنية منسوجة بالزمن

ونعشقها

فلتصدق!

كنت لا أزال سعيدا ، أحلامي الأولى

لمعت كصحون طائرة

فوق سطوحها

ثم اختفت ، وحده الله يعلم أين ،

يومها كنت شابا .

ذات يوم ، أسندت وجهي

على حجر حائط قديم  
في ناحية ما ، فوق باحة قلعتها  
حين سمعت فجأة  
هديرا كثيبا .

إنه رعد القرون الغابرة  
لكن صفائح الجبل الأبيض  
الفاخرة والحنونة  
همست بحنان في أذني .  
امضِ! ستكون مسحورا .  
غنّ! لديك من يستمع إليك .  
لكن لا تكذب!

مضيت ولم أكذب .  
إلا قليلا ، عليكن ،  
يا حبيباتي .

## عذراء جيجكوف

من ثم أتى شهر أيار؛  
ترك الربيع  
أشعته المزهرة تتسخ  
على سقوف بنايات المستأجرين  
فتسقط أمي على ركبتيها  
فوق بلاط كنيسة القديسة أدالبير  
لتصلي للعذراء .  
كانت أقرب إليها ، في أيار ، من أي يوم آخر .

مقوسة الظهر أمام المذبح  
تشبه أكواما  
من الثياب المهملة .  
- أصلي من أجلك أيها العاق!  
وأنا ، أبتسم في سرّي .



في المدرسة ، كنت أحب اللاتينية .  
كنا نقرأ فيرجيل .  
ترن في رأسي إيقاعات  
الشعراء الرومان .  
بدأت بدوري ، أكتب الأشعار .  
كنت أتنزه وأنا أغني .  
بصوت خفيض . بصوت سيء .

كنت أكره الرياضيات  
أشعر بالخوف  
عند كل امتحان  
وفي الليل ، أستدير على نفسي ، في السرير  
بلا توقف .

للحظات فكرت بالصلاة  
لكنني ، بسرعة ، دفعت عني الفكرة

لأحسست بالعار  
فيما لو طلبت مساعدة السماء .  
حتى جاء اليوم ، الذي شعرت فيه ، فجأة  
بالرعب .  
رعب أسود .

تذكرت إيمان أُمي  
وقلت لنفسي ، بخوف :  
لا أحد يعرف حقاً!  
ها أنا أتسلق درجات كنيسة جيجكوف  
الباردة  
حتى أصل إلى المذبح المغطى بالزنبق  
لكن عطرها ، بدا مرّاً ذلك اليوم  
كما لو أن على لساني  
حليب الهندباء .

بسرعة صليت للعدراء  
لكي ترأف!  
لترأف بي وترحمني  
ولترحم التي أحبها  
التي كانت في الثامنة عشرة ،  
إذ أنها تائهة كروح متألّمة  
لا تأكل ، لا تنام  
حزينة تبكي  
وتفضل الموت .  
ولكي - أيتها الرحمة الإلهية - لا تحمل .

نظر إليّ تمثال العدراء  
مباشرة في عينيّ .

بعد أيام فاضت الورود  
على المذبح ، بالعطر

كسابق عهدها .

وأنا ، عدت وأحسست على شفتيّ  
طعم قُبَلِ السعادة .

## تقرير عن هدم بيت

إلى فاتسلاف سمكيال

لوهلة ، بدا البيت كأنه يرغب في الركوع  
ليطلب الرحمة ،  
لكن الأدرج البيضاء المؤدية إلى السقيفة  
التي قادتني ، في ما مضى ، بدرابزينها  
إلى الباب المفضل  
انهارت لتوها  
كلوح الوصايا المهشم .

اعترت رجفة خفيفة  
بئر طفولتي  
المهملة في زاوية

التي تشبه قيثارة منخورة بلا أوتار  
قبل أن يختفي خلف غمامة سوداء .

بسرعة أضرم انفجار الذكريات  
السريعة الاشتعال .  
كأنها مخضبة بالوقود ، اشتعلت كمصباح  
وركضت معي  
لترافق هروبي .

على بعد خطوات من هنا ، كان - في الماضي -  
نزل بيزوفكا حيث نذهب للرقص .  
فوق باب المدخل ، كانت هناك ستارة قرمزية  
ذات تخاريم مذهبة  
وحول الأعمدة ، زهور من ورق .  
أحيانا ، تعزف الفرقة الموسيقية ، ألحانا في الحديقة  
إذ ذاك ، نسمع أحيانا ، النغم من بعيد  
حتى وإن كانت النوافذ مغلقة .

كل ذلك انتهى من زمن طويل  
حملة الشيطان  
لكن ، لسعادتنا ، لم يتوقف زمن الرقص  
إذ لا تزال تصدح الأغنية .  
أنت أيضا ، يا حبي ، ابقني معي  
وابتسمي  
ابتسمي لي دائما  
إلى أن أموت .

## برج الإرسال

إلى فلاديمير ياشتل

إنه الخريف ؛ فوق شرفة الكرمة  
ترفرف فراشة مستوحدة  
باحثة ، تحت عنقود ضخمة  
عن الزهرة المستوحدة .  
أجهل أمر العالم ، لكن في بلادنا  
يعشق الشعراء الدوالي .

كنت شابا سادجا  
وأحيانا ، لا أعود إلى منزلي إلا في ساعة متأخرة .  
كنت أتسكع لفترات  
في شوارع المدينة القديمة .  
في حين تنادي العاهرات على الأرصفة



المارين

كنت ألقى بصوت خفيض

أشعار حب

وكنت أشعر بأنني أتوه

بين كوكبة نجوم معروفة

وسط مجرة لامعة .

مثل وريقات وردة ذابلة

تطير الليالي

من حيواتنا بلا هموم

لتحط أمام أبواب الماضي المعتمدة

ولا تعود

سوى ذكرى نصف شفافة .

كنت أعتقد أن الشعر ،

في عيد دائم .

يحميني مثل ملاك حارس ،  
ليعرج معي في الغبار والطين  
حافي القدمين .

في تلك اللحظة بالذات ، كان عليّ أن أركع  
إلى الأسفل ، قرب الأرض  
حيث كان مكاني .  
صحيح ، انه يسهر عليّ ليل نهار  
لكنه لا يستطيع درء أي شيء .

أحيانا أعود إلى المنزل  
عبر جبل بيترين الربيعي .  
الحديقة مفتوحة حتى في الليل  
حيث ألتقي بالعشاق .

حدث ذلك في صباح ربيعي ،  
منهك

جلست على مقعد مغطى بالندى  
تحت قناطر من عطر طازج .

أمام بصري الصورة المعشوقة ؛  
خلف الستارة المثنية بالضباب ،  
الذي بدأ يرشح في الفجر ،  
تقف الكاتدرائية والقصر .  
أيها القصر ، لا زلنا ننام .

أسندت رأسي على ذراعي  
لأ تأمل شجرة مزهرة  
على بعد خطوات قليلة .  
لم تكن الزهور تفتحت بعد ،  
وما من شخص ليغني له العنديل .

لحظنها ،

ثمة أبيات ، كنت حلمت بها ،  
عادت إلى ذهني .

رنّ البيت الأول بهدوء ،

من ثم استعاد

آخر أغنيته

وجاء ثالث ورابع

مرتبطان ببعضهما برزمة أنيقة

لقافية لامعة .

إنها أغنية لك ، يا معشوقتي ،

أجمل من عقد اللؤلؤ

الذي تلفينه ثلاث مرات حول عنقك .

رغبت في أن أضعها ، هذا الصباح ، على ركبتيك

مثل قربان

لحبك المعذب .

لما وصلت الأغنية إلى نهايتها ،  
بسرعة ، نهضت ،  
أسرعت بالعودة  
عبر الدرب المُسَوَّر ،  
بين النسرين  
والأسيجة ذات الشباك المعدنية المحيطة بالجنائن  
مارا بالقرب من برج الإرسال  
الذي ينظر إلى نافذتي .

بسرعة جلست إلى مكثبي  
استللت قلما بيدي .  
لكن ، رباها!  
لم أستطع عندها تذكر  
بيت واحد .

وما زلت حتى اليوم ، أبحث  
عن أبيات ذلك الصباح الرائع .

## أقراط من مرجان

كل ما يغادرنا  
ويغور في الماضي  
يفقد في طريقه جزءا كبيرا  
من ملكياته .  
يشجب الألم ، ننسى الخطيئة ،  
يتخلل النبيذ  
والقبل المسمرة تحت القبة السماوية  
تصير إزعاجا .

عندما كنت أحلم بذراعيك ،  
كنت أبداع قصائد ،  
أذرع غرفتي  
وألقيها على نافذة فارغة .  
آه . أي قصائد هي!

لم تكن كثيرة الجودة ؛  
لكنها مليئة برغبة شرهة  
وبكلمات شغوفة .

تضغطين راحتك على فمي  
كي اصمت  
وتدافعين بحدة  
عن أذنتيك الصغيرتين المتفاجئتين  
في حين طرف لساني  
كان يتوه في ثنياتهما الزهرية  
كما لو يضيع في متاهة .

غالبا ما كنت أنام على قلبك  
متنشقا بشراة عطر  
جلدك الحارق .

للأحلام التي تقترب خلصة  
كي تستحوذ على النائم في الظلام ،  
لون عينيك .  
كانت زرقاوين  
ولؤلؤتا المرجان الكتمد في أقراطك  
كانت تستريحان بهدوء على جبھتي  
مثل نقطتين من شمع الأختام .

اليوم ، حين ، اضع وجهي العجوز  
في يديّ  
أشعر بجلاء ، فوق الأصابع ،  
باستدارة جمجمتي .  
قبلا ، لم أكن أفكر بذلك مطلقا  
لم أكن أضع رأسي بين يدي البتة .  
ما من سبب يدفعني لذلك .



والرغبة الرهيبة في الحياة ،  
حتى بلا فرح ، حتى بلا أمل ،  
تربط بدون توقف أجنحة سوداء  
على خوفي من أن لا أكون .

لكن حين أكون ميتا حقا ،  
من صمت الصلصال  
إلى خطواتك ، لن يتوقف  
حبي من النحيب .

## أغنية الفاصل الترفيهي

إن سئلت  
ما هي القصيدة  
لاحترت عدة ثوان  
ومع ذلك أعرفها جيدا!

غالبا ما عدتُ وقرأتُ الشعراء الراحلين  
ومن وقت لآخر  
كانت أبياتهم تضيء دربي  
مثل شعلة في الظلام .

لكن الحياة لا تسير متماهلة  
أحيانا ، تهزنا من جميع الاتجاهات  
وتركلنا .

غالباً ، ما بحثت عن الحب تلمسا  
مثل الذي فقد بصره  
ومثل الذي - على أغصان شجر التفاح -  
يبحث عن استدارة الفاكهة التي تحلم بها  
راحة يده .

ومع ذلك ، أعرف أبياتا  
قوية كأنها تعزيمة للجحيم  
تدفع حتى أبواب الجنة  
همست لها بعينين مندهشتين .  
كيف إذا لن ترفع الأيدي المدعورة الضعيفة  
التي تمنع الأذرع  
عن احتضان الحب!

لكن إن سُئلت امرأتي  
ما هو الحب  
لربما تهالكت من الدموع .

## قصف مدينة كراالوبي

### ١- كراالوبي مدينة غير جميلة ..

كراالوبي مدينة غير جميلة  
لم تكن كذلك مرة .  
نبتت في محيطها مداخن  
شبيهة بأشجار وحشية بلا أغصان  
بلا أوراق وبلا زهور ، بلا نحل  
وبلا عصافير .

حين نزل من القطار ،  
ونحن لا نزال على درجات القاطرة بعد  
نشم الرائحة العذبة  
لمعمل "ماجى"  
كان قريبا من المحطة جدا .

إلا أنني ، كنت أسرع ، لا أضيع ثانية  
باتجاه باب صامت  
حيث بانتظاري أذرع عديدة .  
كلي السعادة ، أدع نفسي أسقط فيها .

حتى اليوم ، وقد مرّ على ذلك سنين عديدة  
حين أغلق عينيّ  
وأتفحص عتمة جفنيّ الشفافة  
أرى وجوه الذين أحببتهم  
تنبثق مبتسمة .

لكنها وجوه شاحبة  
مثل نور النجوم في ما بعد ظهيرة يوم شتائي  
حيث يبدأ المساء بعتمته .

عند المساء ، وبخاصة عند اقتراب المطر

يغلق الناس النوافذ .  
تسقط على المدينة نديف السخام  
وفي الشوارع يدخل دخان  
شبيه بضباب الخريف  
إلا أنه مسلح حتى الأسنان .

ومع ذلك ، ثمة أزهار بريّة  
لا تزال ، بالنسبة إليّ ، تتفتح هناك  
حتى على الأسلاك الشائكة  
يكفي أن نتوقف قليلا  
ونطلق زفرة ناعمة .

## ٢- الشمعدان

يعرف الله أين أصبح ذلك الشمعدان  
الذي جلبته أمي من كراويبي .  
صنع خلال الحرب الكبرى من قشر الرمان  
ولسنوات طويلة ، بقيّ عندنا ، على ظهر خزانة .

حين ينفذ النفط  
نشعل فيه شمعة  
تدخن .  
على ضوءه الخفيف  
كتبت أولى قصائدي  
وحين يذهب أهلي للنوم  
كنت أقرأ - مادام مشتعلا -  
روايات غرامية .

نوره المترنح  
يصبح أمرا لجوجا زائلا  
كان - في أحلامي على الأقل -  
يجرني من على مقاعد الدراسة  
صوب أزقة براغ العفنة .  
حيث نعشق للحظات قصيرة .  
لكنني كنت أشعر بالخوف  
لأنها أكثر غموضا

من مستنقعات الجزيرة الغاشة  
عند مصباتها  
التي غرق فيها فارس شجاع  
مع فرسه .

في كل مرة ، كانت أمي تُلَمِّع الشمعدان  
بخرقة مخملية  
كنت اشعر بأنها تطلق زفرة خفيفة .  
لم اسألها السبب  
فيما بعد ، تكهنت بالأمر :  
أن لا تنشب الحرب مجددا .  
ومع ذلك ، لقد جاءت!

### ٣- شال الكشمير

منذ دهر لم تعد زهور "الموغيه" تنبت  
في غابة كرالوبي



كما في مراهقتي  
حين وقعت في غرام  
أصغر أخوات أمي .  
كانت أكبر سنا مني بقليل  
وجميلة .  
غالبا ما يرددون ذلك .  
أعرف أشياء قليلة عن النساء  
وبرغم ذلك ، وفي فكري ،  
كنت أدور بلا توقف حول الجنس اللطيف .  
وحين تمر بالقرب مني  
لم تكن توجه إليّ سوى ابتسامة صامتة  
من دون أن تنظر مطلقا في عينيّ  
اللتين تتوهجان  
بينما تنفجر دمائي بصمت  
في سراييني .

كم من مرة فتحت ذراعيّ  
كي لا أحتضن سوى هذا الهواء  
الذي اجتازته لتوها  
حاملة ابتسامتها الناعمة  
إلى الغرفة المجاورة .

غالباً ما أشعر برغبة جريئة  
في رؤيتها عارية ، في أحلامي .  
أو على الأقل ، عارية حتى خصصها .  
أو أن فمي ، الذي كان لا يزال حائراً  
يستطيع أن ينحني بالقرب  
من ظلالها الزهرية .

أحياناً ، حين تبعد للحظة  
رامية فوق كرسي  
شالها الكشمير

كنت أشد القماشة على وجهي  
لأتنشق عطرها .

انتهت العطلة ، وكان عليّ  
أن أعود إلى براغ .  
لحظة الوداع ، مدّت لي يدها  
أخذتها بعناية كبيرة  
مثل زهرة الأوركيديا الرهيفة .

مضى زمن لم تنبت فيه زهرة "الموغية"  
في غابة كرالوبي .  
مضى زمن طويل . . .

#### ٤- طريق كرالوبي

زاكولنسكي ، الساقية التي تجتاز المدينة  
مزعجة ورائحتها كريهة .

حتى السماء لم تكن تستطيع احتمالها .  
تحوي جميع أنواع المياه الآسنة  
والذين يسكنون في النواحي  
يرمون فيها الأوعية المكسورة  
والقطط النافقة .

الشحاذ بابلام ، القبيح والبائس جدا  
والذي يشكل فزاعة للصغار ،  
كان يلم من مخلفات المدينة  
خرقات قديمة  
ملطخة بالعرق ، بالدموع ، بالدماء .  
كان أناس سعداء بالتخلص منها  
ليطمروا غالبا ذكرياتهم .

كان الشحاذ يغسل قدميه في الساقية .  
وحين شيدوا جسر كراالوبي  
أخفوا الساقية .

وفي اليوم  
الذي صممت فيه المياه بين الأحجار  
توقفت العصافير عن الغناء  
على الأشجار التي تحيط مجرى المياه .

كان طريق كراالوبي  
ينطلق من أمام الكنيسة ، يجتاز الساحة كلها  
ير أمام مكتبة "نيفلت"  
- لا زلت أرى واجهتها  
وعلى الزجاج انعكاس صورة وجهي -  
ليصل في النهاية إلى مقربة من الساقية .

الطريق عينه ، كان يسلكه ، فوق عرش ،  
السيد الكاهن ، مرتديا حلته البيضاء ،  
يوم عيد الرب ؛  
حذاؤه ، الملمع للمناسبة

يسحق بلا رحمة الزهور  
التي ترميها الفتيات الشابات على البلاط .

رأسي مليء بأحلام مذهبة  
وبأبيات  
أهمس بها سائرا .  
أضع ، خجلا ،  
خطوات رغبتي على الموكب .

في الشتاء ، صديقي الممثل "سبال"  
يحصي البجعات في البحيرة  
من أعلى جسر "بالاكي"  
طيلة حياتي ، لم أحص شيئا  
لا بجعات ولا أيام زلا ليال  
ولا مال .

ملأى حياتنا اليوم بالأرقام  
لكن ، ما كان بإمكانني إحصاءه في تلك الحقبة؟  
نقاط المطر؟  
أو ربما حبال روحي  
التي يتحدث عنها الشعراء ، غالب الأحيان ، في قصائدهم؟

أصابع الرغبة الأولى  
مستها لتوها .

أو بالأحرى القبل؟  
كانت لا تزال نادرة .  
ربما ابتسامات الصبايا النافرة؟  
أجل ، هذا هو!  
ابتسامة بعد ابتسامة  
قبل أن تحملها الريح .

ما ان تحل الظهيرة  
حتى أسارع بالعودة  
وطيلة بعد الظهر ، كنت أجد صعوبة  
في كتابة القصائد .

على بُعد خطوات من الساقية  
ولد الشاعر "هاليك" .  
كان ، إن وقع في الغرام  
يخرج قصائد الحب  
من كُف معطفه المزخرف .

على عتبة بيت المحبوبة  
التي دخلت حياتي لحظتها  
وضعت الرسالة التالية :  
- أعرف جيدا  
أن قصائدي لا تساوي الكثير



حين تقرأنيها  
سأصلي لعينيك  
كي لا تغلقي قلبك في وجهي .

مع قصائدي المتواضعة  
وبحبل فضيّ علّقت  
هذه الزهرة .  
إن مست شفّتك  
وريقاتها الرطبة  
فانك تقبلين جمالك .

قبل ليلة ، حين قطفت الوردة  
من وريقاتها الزهرية  
التي تفتحت بحسية كبيرة  
ارتعشت منها  
وكان عليّ أن أنفخ  
نديفة سخام دنيئة .

## ٥- تحذير ليلي

أحالت الحرب الليالي أكثر سوادا  
والصباحات أكثر كآبة .  
في كل الزوايا ، يتدلى سيف  
يهدد مدفع رشاش  
يتعفن الرعب .

المسدسات مثل جراذين متربصة  
جراذين تتضور جوعا .

كنت في كراوبي أنتظر القطار  
كنا في سنة الحرب الخامسة  
وكنت أطوف عبر المدينة  
في صمت السنونات .  
لما يحل المساء تنطلق قطارات الأمنبوس  
حين لا تعد قاذفات الصواريخ تهدد

بالانقضاض قصفا من أعلى الغيوم البيضاء .  
كانت المدينة تستعد للنوم .

لم تكن الساعة العاشرة قد حلت بعد

حين تطلق الصفارات انذاراتها

أستعجل في إيواء خوفاي

في نفق تحت جسر واد .

قبل سنوات ، سكنا قربه

في شارع سوكول

عشت في هذه الأمكنة

مغامرة غريبة .

المتشرد بالام ، حاملا كيس قاذوراته النتنة

خرج من النفق وهو يترنج .

كان سكرانا

فرمى أحدهم عليه حجرا .

توقف الشحاذ وهدد بقبضته  
لا المعتدي فقط ،  
وإنما المدينة كلها حوله .  
وصل إلى وسط الساحة  
وتفوه بلعناته الداعرة :

لتتقوض في هذه الكهوف المعتمة  
لا فيها فقط  
بل في يأس ضريحي  
حتى آخر دموعه!  
لتضرب النار النار النار النار  
المدينة من أعلى السماء  
مثل أجنحة نسر مشتعلة يتضور جوعا  
فوق جثة طازجة  
لينهي دماره!  
أمين

مضى زمن منذ أن غادر الشحاذ  
هذه العتبات البخيلة  
إلى ممالك أخرى ،  
لكن لعنته ، كما نذير أسود ،  
بقيت محفورة وسط الغيوم  
الملوثة بالسخام الدهني

بعد دقائق  
صرخت الصافرة بانتهاء التحذير  
فغادرنا الملجأ  
كان الليل منخضبا بالعطور  
والسماء مليئة بالنجوم .

في ما مضى ، كانت ليالي آيار تخص العاشقين  
أه يا الهي .

صَفَّرَ القطار خلف تيلاهوزيفيتش

حان وقت الرحيل .

راكضاً ، هممت بالوصول إلى الرصيف .

بالكاد جلست في المقطورة

حتى أحسست بندم مرير

بالهرب من المدينة

التي أحبها

بأن أتخلى عنها لحظة

كانت في خطر .

بيد أن مبنى المحطة كان يختفي

في عتمة الربيع

والقطار يتجه صوب دولاني

حيث كل شيء مزهر ...

## ٦- الصدمة

الورقة السوداء ، الموضوعة للتعتيم ، انثقت

تاركة خيوط الأنوار تتسلل

تمر الأيام ببطء

مثل نقاط عسل من ملعقة خشبية ،

والأمل ، المخلص لكن عديم الصبر ،

كان يختنق .

للتوقف هذه الحرب اللعينة أخيرا!

للتوقف!

مضى الشتاء السادس بدوره في النهاية .

تخلص العشب سريعا

من غسيله الثلجي

الذي لم يكن نظيفا في كل الأحوال

فظهر عاريا .

في يوم اعتدال الخريف

الذي به يبدأ الربيع الفلكي

كنت أحب الذهاب إلى كراووبي

فوق قبر مهمل .

كل الذين عرفتهم فيما مضى  
كانوا رحلوا منذ زمن ،  
وحدها فقط ، هذه الفتاة التي في القبر  
كانت لا تزال حية .

كانت أول امرأة نفحت  
على وجنتي شعلة الشغف المتأجج ،  
وحين تدافع بعناد  
عن جمالها السحري  
الذي لم يكن حبي يجرؤ  
بعد ، على دخوله .

ماتت في أول أيام الربيع ،  
في التاسعة عشرة .  
كانت متواضعة ، ناعمة وحنونة ،  
يخيفها الحب .  
لا الموت .



ماتت بشجاعة ، على عينيها  
الحارتين ، ابتسامة .  
عندما تلعلع صفارات الإنذار  
أقف أمام قبرها .  
أعرف اليوم  
لماذا وصلت متأخرا ليوم .  
كان عليّ أن أكون هنا!

حفار القبور ، السيد فرديناند زيبيرو  
ينادي المتخلفين .  
طائرات الحلفاء تقترب ،  
الظهر تقريبا .  
الثواني تلمع على المعصم ،  
بدأت ساعة القدر .

بالقرب من المقابر

أصيب إحدى خزانات مصفاة التكرير  
المليئة بالنفط الخام

النفط المشتعل يطير عاليا  
والدخان يغطي المدينة .

لمعان حديد متوهج  
يتوه بين الصليبان ،  
بينما مطر قذائف جديد ينهمر  
عشوائيا  
في الغيمة السوداء أعلى المدينة .

رغبت في الهرب من المقبرة ،  
لكن حفار القبور أجبرني  
على البقاء  
وعلى الاختفاء خلف قبر خفيض .

تمددت قرب تلك التي أحببتها ،  
واضعاً رأسي قرب رأسها .  
مدت لي الراحلة يدها .

أخيراً تمددنا جنباً إلى جنب ،  
مثل عاشقين  
بعد عناق محموم ،  
متعبين من مئات القبل ،  
أمسكنا بعضنا بيدنا .  
ومن المدينة ، سمعنا لحظتها  
سلسلة انفجارات متعاقبة تقترب منا  
تشبه قصف الرعد على طبل  
مغطى بحرير أسود .  
وفي شوارع كرابولي ،  
تفتح السماء ، بمفاتيحها النارية  
حفرة وراء حفرة .

كان القصف بدأ منذ ساعة تقريبا  
ويبدو كأنه لا يرغب في أن يتوقف .

فجأة ، تباعدت أصوات الانفجارات  
والطائرات المبعثرة عادت إلى تشكيلاتها  
وطارت باتجاه "كلادنو" .

وعندما رغبوا بإعلان  
نهاية الغارة على كرابولي  
لم يعد هناك من جرس إنذار .

للحظة أخرى بعد ، حدقت  
في السماء القاتلة ،  
من ثم ، نهضت ببطء .  
نصف ميت ،  
ترنحت باتجاه المدينة النصف ميتة ،  
متسائلا برعب أي مشهد ستعرضه علينا .

وحدها الكنيسة ببرجها الصامت  
بقي واقفا ، ينتصب سليما وسط الخراب .  
دفنوا الأموات لتوهم تحت التراب ،  
الكاثوليك ، البروتستانت ، غير المتدينين ،  
والمعبد يتقبلهم كلهم  
تحت سقفه المتسامح .

لا أعرف إن استطعت الاعتراف ، في النهاية  
بما طرأ على بالي من أفكار  
حين رأيت هؤلاء الأموات :  
فكرة تصدم .

إنهم يرتاحون تحت الأرض ، الواحد قرب الآخر ،  
مثل أرانب نافقة في لوحة صيد  
بعد مجزرة ناجحة .

## ٧- ليس بعد الآن

مئة منزل تعرض للدمار  
وألف أخرى لفها الخراب .  
لا ، لم أحصها بنفسى .  
فتحت طريقا لنفسى بين أنقاض لا تزال ندية  
مستديرا على حُفر الشارع .  
تشير الرعب  
مثل أبواب متثابة فى أعماق الجحيم .

انهمكوا فى تنظيف الشارع ،  
ولم يستطيعوا خلع باب المنزل الصغير  
فى شارع "سفيرما"  
العائد للسيد "هرينشير"  
إلا بعد ثلاثة أيام .  
ماتت العائلة بأسرها .

وحده الديك ، هذا المشاغب العجوز  
الذي لم يكن يقدره كثيرا  
بولس الرسول ،  
كان سليما ومعافى .  
سائرا فوق جثث الأموات ، تسلل خارجا  
وتوقف فوق كومة من الأنقاض .

نظر حول مكان البؤس هذا ،  
ثم فرد جناحيه  
كي ينفض ريشه الذهبي من  
الغبار الثقيل .

وقرأت بصوت خفيض  
ما كتبه  
الرعب والألم  
على وجه أناس كرالوبي .

وفي صمت الموت هذا ،  
صرخت لنفسي بصوت مرغم  
كي تسمعه الحرب :  
أيتها الحرب ، ليس بعد الآن ، أبدا!

نظر الديك إليّ بانتباه  
بعينه السوداء اللئيمة ،  
انفجر بضحكة مرعبة .  
كان يهزأ مني  
ومن ندائي الباطل .  
أضف إلى ذلك ، بكونه من فصيلة الطيور  
فهو متضامن مع الطائرات .  
أيّ ندالة!